ماريوتـــو

للأديب الإيطالي ماسوشيو سالفاتيلي

أحبها ماريوتو ماجنانلي من أعماق قلبه ، وجعلها أغنية روحه ، ومزج غرامها بدمه ، وجعل اسمها الحبيب إنجيله المقدس الذي يردده ويهتف به في يقظته وفي منامه . ثم راح ينشدها في أنفاس الصباح ونسمات الأصيل ، ويتخيلها في لألاء النجوم وصفحة البدر .. وكلما ألقيها فوق سيف البحر أرسل عليها حبه وآلامه تتوسل له تحت قدميها الجميلتين وتطلب له الشفاعة حتى عرفت أنه يحبها

وآنست فيه الفتاة طهارة ونقاء وصدقا فرقت له ومالت إليه وجزته على دموعه وحرقه بابتسامة بريئة ماد لها قلبه ، وازلزل من شدة أسرها كيانه ، وفتحت له أبواب السماء يطلع منها على عالم من الحب سرمدي ، لأنه من صنع اللطيف البارئ .. سبحانه وبارك قلبيهما بيده ، وأخذا يلتقيان خفية ليتعاهدا على الحب وليرويا بدموعهما ، وليقطفا من ثمره إذا أينع . . قبلة أو قبلتين .. ثم ليأخذا في حديث ألذ من قطع الروض ، وأبهى من وشيه يرف على شفاههما رفيف النسيم ، ويتدهدى من أعينهما الظامئة كأنه رق السحر

وكان ماريوتو من أسرة متوسطة من أهل سينا وكانت الفتاة من أسرة ساراسيني التي هي في الثؤابة من أهل المدينة فكان هذا التفاوت بين الأسرتين سبب عذابهما ونبع مأساتهما والهوة السحيقة التي تحول بين أطيافهما في القبلة المقدسة التي تقرب ما بين الجسمين كما قرب الحب بين الروحين

ولا ريب أن القبلة هي أشهى ثمار الحب وأطيب جناه ، لكنها كما يقول الشعراء تلهبه ولا تطفئه . . ومن الشعراء من يدعوها رسول الأبالسة ، لأنها أول النبيث . .

من أجل ذلك لم يستطع الحبيبان على هذا الهوى الصبر اصطبارا ، ومن أجل ذلك حتم أن يكونا زوجين برغم ما بين

بالشراء والبقاء إلا إذا قارنتها الحرية الكاملة .. حرية الرأي والقول والفعل العقلي والمادي

والآن وبعد أن طوى التاريخ تلك الصفحات السود من حياة مصر والمصريين بل ومن حياة الشرق العربي الكريم . وعاد الشرق يبتسم للحياة ابتسامة العز بعد أن قوى فيه الوعي القومي . وثارت فيه روح الدفاع وتربت فيه ملكة الجهر بالحق ولو غضب المستعمرون

يستقبل الشرق والشرقيون والعرب والإسلام لحظات الكفاح مشاركين مصر العربية في شعورها .. مؤمنين على صوتها حين ينبعث من « بوق » العدل والكرامة ، مبتهلين إلى الله بقلوب ملؤها الإيمان أن يشد عضدها وأن يحقق لها آمالها حتى ترى المعركة الدامية التي يخوضها أبناء مصر وأحفاد بناة الهرم .

وقد تجلت عن حرية كاملة واستقلال غير منقوص

المخلص لكم والرسالة

عابر التوحيد ـ الحجاز ـ الطائف عبد الله القصيمي

وعزل أيضا

كتب الأستاذ محمد عبد المنعم أبو سيف في البريد الأدبي للعدد ٩٧٠ يقول : إن أعزل لا يجمع على عزل بتشديد الزاي وإنما يجمع على عزل بتسكينها كما هو القياس في جمع أفعل وفعلاء ولكن القاموس أورد هذا الجمع فقال : « والأعزل من لا سلاح له كالعزل بضمتين وجمعهما عزل بضم فسكون وأعزال وعزل كركع » وإذن فقد سمع من العرب ذلك الجمع ، ولا تثريب على المثقفين وغيرهم لو استعملوه ما دامت العرب قد نطقت به .

وللأستاذ تحية خالصة

أبو هند محمد عبد الله

الأسرتين

وكان لهما صديق راهب أو قسس ، ما كادا يشكوان له حالهما حتى انبجست الرحمة فى قلبه والدموع فى عينيه ، وانطلق بهما إلى الكنيسة فعقد لهما واستمان على إنجاز ذلك بالكتمان ، وهكذا ظل ما بينهما سرهما وسر الراهب . وهكذا تم لهما ما أبته التقاليد والطبقات . فقطفا من ثمار الجنة على غفلة من الأفعى حتى استيقظت ، فذهبت تسعى بينهما وبين الناس لتخرجهما من فردوسها الجميل

ذلك أنه كان بين ماريوتو وبين أحد النبلاء من سادة سينا عداوة ، فاستطاع الشيطان للغيظ أن يؤجج جذوتها بالوقيعة بين الخصمين .. ولم يلبث الجدال أن صار نضالا .. ثم تعاسكا . . ثم وكزه ماريوتو فقضى عليه

وكان عليه بعد هذا أن يفر من الدولة أو يدفع رأسه ثمنا لجريمته ، فلبث حيناً مستخفيا عن أعين الناس ، فلما ضاعت جهود رجال الشرطة سدى فى البحث عنه صدر الحكم عليه بالنفى المؤبد

وقد تكلمت الدموع ساعة الوداع ، وضم الحبيب حبيبته يتنفس فى صدره ، ويتزود لفراق طويل لاتنتهى مرارته ، وليس معروفا مداه !

يا لقسوة المقادير توقظ المحبين من سبات عميق كله أحلام !

لقد راح كل منهما يرنو فى عيني صاحبه المغرورقتين بالدموع ، وكلاهما بالفراق انجذب بعضهما إلى بعض فى لوعة وفى شجن فترف الشفاة المعذبة على الخدود المحترقة ، هائمة حائرة تلتمس العزاء ولا عزاء ، وتنشد السلوان ولا سلوان

ولقد كان صدر أحدهما يكلم صدر صاحبه بدقات القلب وخطرات النفس ووجيب الروح ، حتى سكتت القبل ، لأنها لا تنفى فى ذلك الحال شيئاً ، وصمتت الأعين . . لأن الفراق الذى لم يكن منه بد قد حم

وطمأنها ماريوتو ، فذكر لها أنه نازح إلى الاسكندرية ليقيم عند عمه الثرى الغنى ، وأنه سيكتب إليها من هناك ليتصل القلبان على ذلك البعد ، ثم أكد لها أنه لابد عائد إلى إيطاليا الجميلة ليواصل وإياها حبه ، ولو كلفه ذلك حياته

وفى غمرة من الحزن ، وثورة من الأسى والفجيعة ، افترق الحبيبان ، وفى نفسيهما مرارة ، وفى حشاهما هم ووجد وألم

وانطلق ماريوتو إلى شقيق له فكشف له عن سره ، وبثه شكواه ، وتوسل إليه أن ينشر ظل حمايته على زوجته ، وأن يكتب له عن أحوالها ، وأن يكون حارسها بالنيابة عنه ... حتى يعود

وركب البحر إلى الاسكندرية ، فتلقاه عمه بالبشر والبشاشة ووجد فيه مؤنسا له فى دار الغربة .. ولما باح له ماريوتو بسره ، لم يشأ الرجل النبيل أن يثرب عليه أو أن يعزله ، بل أذهب عنه الحزن بكلمات طيبات ، وفلا فناه بصلاح الحال وتلافى ما وقع بينه وبين أسرة القتيل من خصومة وعداء .. ولم يكن ذلك من الجد فى شئ ، لكنه كان مبالغة فى إكرام مثوى الفتى ، الذى استطاع أن يخلب لب عمه بأسلوبه الغرامى الحزين الحنون

وعهد إليه عمه ببعض مهامه التجارية لتشغله قليلا عن أحزانه ، ثم أشركه معه فى منزله الجميل على شاطئ البحر الأبيض . فكان ماريوتو كلما فرغ من عمل النهار ، خلا إلى نفسه فى الليل ففتح النافذة المطلة على البحر العتيد ، وراح يتنسم أنفاسه ، ويستروح سيماه ، ويقرأ من حبيبته أو يكتب إليها ، ويفصل ذلك كله بدموعه الحرار الطاهرات ، فكانت هذه اللحظات على ما فيها من ألم وما بطنت به من عذاب وهم ، أسعد لحظات حياته ، لأنها شعر الماضى وأحلامه ، تطفو على سطح الحاضر وتعلل بالآمال ظلام المستقبل

وتحالفت الهموم على جيانوزا فزادتها جمالا ، وهام بها شباب المدينة هياماً جعلهم يتزامون على قنصها فى كل طريق كما يترامى الفراش فى اللهب . وذهب كثير منهم إلى أبيها يخطبونها على أنفسهم ، ويعرضونها بكل ما يملكون ، وكان الوالد كلما كلمها فى أحدهم تعللت وانتحلت المعاذير ، فكان الأب الحائر يترفق بها ويتلطف ، ثم ينزل عند مشيئتها بغير ماحجة ولا برهان مبين ، ثم يصرف شباب المدينة فى حدب وفى استحياء

وهكذا ظل السر الرهيب دفيناً فى صدر الفتاة يعذبها ولكنه مع ذلك كان مصدر سعادتها الباكية ، وقوتها الحزينة ، والنبع ذا الخرير الذى تختلط فيه آلام الماضى وآلام الحاضر لتثمر مخاوف المستقبل

وضاقت بها أفانين المعاذير فلم تعد تدرى ماذا تلفق منها وماذا تدع ، فلما أحست أن الشكوك أخذت تساور أباها من جراء هذا التمنع ، وأنه يلح فى معرفة سرها ، قلق قلبها الخفاق ، وسدرت نفسها المتهامة . . ثم ذكرت الراهب الصغير الذى فى وسعه أن يصنع كل شئ . . فانسرقت إليه وذكرت له ما كان من فرار ماريوتو إلى الاسكندرية وما كان من إلحاح أبيها عليها بالزواج ، وما حرصت عليه من كتمان زواجها على أبويها ، وكرهها أن تبوح به خشية ما يجر إليه من عواقب . . ثم سكبت عبراتها بين يدى القس ونثرتها على قدميه ، وتوسلت إليه أن يخلصها مما هى فيه بجرعة من السم المقدس تريحها من هموم الحياة ، وتحول بين الفضيحة وبين سرها وحبها

وقد تردد الراهب أول الأمر ، لكنه سرعان أن رق للفتاة ، ولان قلبه للحبيب النازح ، فتناول كأسا روية من الخمر وجرع ما فيها . . وكأنما شرب منها شجاعة ، وعب حماسة وإقداما . . فتهلل وجهه ، وربت على كتف جيانوزا ، ثم وعدها عدة جميلة ، وأمرها أن تنطلق إلى ذويها فتسلس لهم فتلقاها القياد وترضى بمن يختاره أبوها بعلاً لها . .

وسجدت الفتاة وشكرت له ، وانطلقت إلى دارها فتلقاها أبوها بمثل ما كان يتلقاها به كل يوم وكل ساعة ، وما كاد يكرر عرضه عليها حتى قبلته ، فطفر قلبه من الفرح ، وطبع على رأسها قبلة العطف والحنان

وذهبت فى الموعد الذى حدده لها القس ، فأعطاها زجاجة صغيرة تحوى الجرعة السحرية الهائلة ، ثم ذكر لها أنه لم يصنع لها السم الذى رغبت فيه ، بل صنع منوماً يدع شاربه فى حالة تشبه الموت لمدة ثلاثة أيام . . «فإذا حسوت هذه الجرعة وتفشاك النعاس ، وظن أهلوك أنك ميتة ، حملوك إلى قبورنا لتدفن فيه ، وسأزورك فى اليوم الثالث وأتولى إيقاظك بنفسى ، وبهذا يكون ما بينك وبينهم قد انقطع ، فتستطيعين السفر إلى الإسكندرية حيث تلقين زوجك ، وحيث تكللان كما عين السعادة . . »

واغرورقت عينا جيانوزا بدموع علوية ، ثم قبلت يد القس وانطلقت إلى بيتها تحلم أحلاماً رائعة جميلة

وجلست تكتب كل ذلك إلى حبيبها ماريوتو . فلما فرغت أهوت على الخطاب تلثم اسم الحبيب فى كل سطر ، وخرجت لتدفع بالخطاب إلى من يوصله إلى السفينة الشرقية ، فلما عادت ، فتحت النافذة ، وصلت صلاة قصيرة ، وتمتمت باسم ماريوتو ، ثم شربت الجرعة الثمينة ، وانطرحت فى سريرها وأغمضت عينيها

ودخل الخدم فى الصباح بالورد والبنفسج ، ورياحين الربيع لمولاتهن ، فاشد ما ذعرت قلوبهن وجفلت نفوسهن لأن سيدتهن لا تستيقظ

وأهرع أبوها وبعض ضيفه فوقفوا فوقها مسبوهين مأخوذين ، ثم استدعوا أطباء سينا فما نفع طبهم ولا أفلحت حيلهم ، بل ذهبت جميعاً أدراج الرياح

وقر رأيهم على أن يتركوها حتى اليوم التالى ، « فقد تكون ناشئة بتأثير شلل فى المعدة لا يزول إلا فى هذا الميعاد ! » لكن الميعاد فات ولم تستيقظ جيانوزا ، فلم يعد بد من دفنها ، لأنها ميتة ما فى ذلك شك

وخرجت جميع عذارى سينا يتهادين وراء الأرمان ، ويحملن أفنان الزهر إلى مقابر سانت أوجستين . . ثم عاد الجميع وكل قلوبهم حرق ، وملء نفوسهم أشجان وأحزان

وخشى الراهب أن تستيقظ جيانوزا فى ظلام الليل البهيم فتذعر ، ولا يكون لموتها من هذا السبب من بد ، فمضى إلى القبو هو ورفيق له ، ونقلا التابوت الحى إلى غرفته الخاصة

وحانت الساعة الموعودة ، واستيقظت جيانوزا من سباتها العميق بين أيدى الراهب المفزوع ، وأخذت فى الاستعداد للرحلة ، الرحلة المنشودة إلى فردوسها المفقود . . إلى ماريوتو . . إلى الزوج العزيز الذى اقتحمت فى سبيله أصرم العقبات

وقد دبر لها القس ثياب راهبة . وبعد أن دعا لها بخير ، انطلقت إلى ميناء بيزا ، حيث ركبت فى سفينة متجهة إلى الاسكندرية مع كثير غيرها

وقد لعب البحر بهذه الحفنة من السفن شهورا طويلة ، وكأنما كان ذلك لتمام المأساة . وذاك أنه لما علم جارجانو — شقيق ماريوتو — بما كان من وفاة الفتاة ، فانه أرسل إلى أخيه كتابا طويلا يدميها إليه ، ويطلب له الصبر والسلوان . وقد وصل الخطاب

قبل أن تصل جيانوزا ، وقبل أن يصل خطابها الذى سطرته إليه قبيل تحسيها الجرعة .. فراها المحبين إذا عثر بهم الحظ . . وإذا لج بهم العثار ..

مسكين ماريوتو ! لقد قض خطاب أخيه بيدين مرتجفتين ومتمناه أن يتلو فيه خبراً يسره .. فاذا قرأ ؟

« جيانوزا .. لقد ماتت جيانوزا يا أخى .. فتجلد ، وهذه غاية كل حى

«لقد كنت أوثر ألا أبعث إليك بهذا النبأ ، لكنى اضطررت أن أفجاك بالحق ليهدأ قلبك ، وتستريح نفسك»

ولم تتحدر عبرة واحدة من عينى ماريوتو ، وأنى له أن يبكى ، وليس أعصى من الدمع فى هذه المآسى التى تزلزل النفس ، ولا تنبجس لها العين

وشاع فى نفسه الحزن الصامت الذى ليس أنكى منه مرارة ولا أحر وجدا

وعبثا حاول عمه أن يواسيه .. وصمم الزوج الحزين أن يبحر من فوره إلى إيطاليا ، ليقف على ثرى حبيبته ، وليسقيه بدموعه ولينشق هذا الهواء المريض الذى نشقته قبيل موتها من أجله ، وفنائها بسببه .. ولأنه لايليق به أن يحتى شيئا فى سينا بعد أن قضت حبيبته ، وتحملت الأذى والهوان من أجله

وأرست السفينة فى نابلى ، وانطلق ماريوتو فى ثياب حاج إلى سينا ، واشترى آلات رأى أنها لابد منها لينقب بها حائط القبو ، حتى يتيسر له الدخول إلى حيث تقر رفات معبودته ، فيجزيها حزنا بحزن ووفاء بوفاء ، ثم لينام جنبها إلى الأبد ، لأنه لا يطيق البقاء بعدها

واختبأ فى الكنيسة إلى أن جنه الليل ، حتى إذا نام الجميع وأمن أن يعثر به أحد ، أخذ فى نقب جدار القبو ، وقبل أن يفرغ من هذا شعر به حارس المقابر ، فنفخ فى صوره ، وظل ينفخ فيه حتى استيقظ الرهبان ، واجتمعوا عليه ، لكنه كان قد فرغ من عمله ، وانفتل داخل القبو ، وفى ظل شمعتين صفراوين شاحبتين ، وقف على رمس ظنه رمس حبيبته

وكانت التقارير السرية قد انتشرت فى أيدى الجواسيس تعلن وصوله ، فلما قبض عليه وسيق إلى قضائه ، باح لهم باعتراف جامع ناجع وساعدته دموعه التى كان يتضح بها كلماته ، فهاج شجون النظارة وفجر فى قلوبهم شآبيب الحنان ، حتى إن كثيراً من النساء وبعض أصدقائه ، عرضوا على الحكمة أن تسمح لهم بمشاركته فى جريرته ، أو إلقائها كلها على كواهلهم ، إذا كان ذلك شافعا لإطلاق سراحه ، ولكن هيهات ! لقد زجر كبير القضاة ، وتهدد الحضور إن تدخلوا فى إجراءات العدالة ، أو اعترضوا سبيلها ، فصمتوا . وانتهت المحاكمة ، وصدر حكم الظالمين القساة بالإعدام

ووصلت جيانوزا بعد لأى إلى الإسكندرية ، وانطلقت من فورها إلى بيت العم العزيز الذى تلقاها كابنته ، وأعز الناس عليه

ولم يشأ أول الأمر أن يفجأها بسفر ماريوتو ، بل تركها تسرد عليه قصة موتها المدعى ، حتى إذا فرغت منها تبسم الرجل الخير ، ثم ذكر لها أن ماريوتو قد تسلم رسالة من شقيقه ينعيها له فيها وأنه منذ ذلك اليوم لم يعد إلى البيت ، وأن أكبر ظنه أنه رحل إلى الوطن

يا آخر الأنباء السود ما أشأمك ! أبعد طول النضال فى البر والبحر ، وبدلا من أن تضم إلى صدرها المذنب حبيبها المشوق تحضر إلى الاسكندرية فيبدهها هذا النبأ

وأخذ الشيخ يواسى جيانوزا ، ثم عرض عليها أن يرحل معها إلى نابولى ثم إلى سينا ليلقيا ماريوتو حيا أو ميتا ، فاستخرطت جيانوزا فى البكاء وشكرت للعم ما غمرها به من عطف ولطف

وتنكرت جيانوزا من جديد فى ممسوح الرهبان وعمت شطر الشاطئ لتركب البحر فى كنف الرجل الطيب ، وهمت بها الفلك إلى الشاطئ التوسكانى ، حيث أرست عند بيومبينو ، وحلت الفتاة ضيفة عزيزة على السر نيقولا ، نيقولا الغنى صاحب فيلا نيقولا ... عم ماريوتو ، التاجر الاسكندرى ، وهى فيلا جميلة قريبة من سينا

وكانت نهاية الفجيعة أن ماريوتو المسكين قد نفذ فيه حكم الاعدام قبل وصول زوجته وعمه بثلاثة أيام

أوه لقد سكب العم الطيب مواساته فى دموعه بين يدى جيانوزا ، فاذا صنعت هيه

وقبلت أن تقضى البقية الباقية من حياتها فى كنف دير !

ولم تستطع أخواتها الراهبات أن يواسينها فذبلت جيانوزا ولم تزل تذبل وتذوى كل يوم ، ولم تفتأ تصهر قلبها ودموعها بالبكاء على ماريوتو حتى لفظت نفسها الأخير !

زكى مبارك